الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد
(دراسة في الأسلوب)

د/ حمدة الرويلي
كلية التربية والآداب بعرعر، جامعة الحدود الشمالية

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد, والوقوف على ما حققه من نجاح في استخدام هذا المعجم الشعري الوجداني, لجلاء غموض ما يكتنف شعره, واقتحام فضاءاته الشعرية التي تخدم النزعة الوجدانية, واشتملت الدراسة على فصلين, يتناول الفصل الأول ماهية الصورة الشعرية وأثر الخيال فيها وصلتهما بتجربة الشاعر وكيف أن الصورة الشعرية هي روح الشعر, وقد صاغ الشاعر من خلالها صور جمالية مركزة شكلها بأساليب مختلفة أبدع فيها وأجاد, وتكلمت الباحثة عن تلك العاطفة الحزينة التي طغت على بعض أشعار بشار بن برد, وتدرجها بين التشبب والبرود في قصائده الوجدانية. أما الفصل الثاني, يتناول التجربة الشعرية, ودواعي الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد, التي تمثلت في ثقافته و عاهته, كما تناول هذا الفصل محاور الوجدانية في شعر بشار؛ وتشمل التجربة العاطفية (الحب) و الطبيعة المحيطة به وقد عبر الشاعر من هذه المحاور عما يجول في نفسه دون حرج أو خوف.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الوجداني و بشار بن برد و الشعر و الأسلوب و الذاتية.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الأكرم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته وسار على دربه إلى يوم الدين. **أما بعد.**

تمثل النزعة الوجدانية ظاهرة فنية وهي نزعة قديمة قدم الشعر العربي ذاته وخير شاهد على ذلك أشعار العذريين ومن حذا حذوهم من الشعراء في عصور صدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي، ولعل أهم ما يميز الشعر الوجداني عن غيره من الأشعار هو بروز ملامح شخصية المبدع فيه من خلال تعبيره الفني عن عواطفه وانفعالاته بشيء من الذاتية حيث يمتزج "بوجدان الشاعر امتزاجًا يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي فتحمل التجربة دلالات أرحب من الدلالات المألوفة في التجربة العاطفية التقليدية ويصبح للشعر مستويان أحدهما مرتبط بحدود التجربة في الواقع الخارجي والآخر ناطق بأشواق الإنسان العامة وإحساسه بالكون والحياة والمجتمع" (١).

ويعد الشاعر بشار بن برد (٩٦ هـ – ١٦٨ هـ) واحدًا من أغزر الشعراء انتاجًا وأبرزهم اهتمامًا بالجانب الوجداني فللشاعر ديوان كبير مكون من أربعة أجزاء صور فيه نفسه وأطنب فيه من فنون التشخيص والشكوى ويأتي الاتجاه الوجداني في شعر الشاعر المخضرم بشار بن برد بوصفه قيمة روحية تتمثل في ترجمة ذات الشاعر إزاء ما يحدث حولها ومدى استجابة هذه الذات لمظاهر الجمال بأشكاله المتعددة والمختلفة فهو من يحمل على كاهله رؤية الشاعر التي تشكل أغراض شعره وتحدد زاوية معالجته لهذه الأغراض المتعددة، ومن ثم تأتي هذه الدراسة المعنونة بـ

(الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد " دراسة في الأسلوب") لرصد الحالة الوجدانية في شعر بشار بن برد من خلال تتبع مظانها و مواطنها في ديوانه بأجزائه الأربعة ما أمكن على سبيل المثال لا الحصر.

- **أهمية الدراسة:**

تبرز أهمية الدراسة فيما يلي:-

- إدراك مدى الترابط بين التجربة الشعورية والقيم التعبيرية والتصويرية التي عرضها الشاعر بشار بن برد من خلالها تجربته الشعرية الوجدانية.
- إبراز النزعة الوجدانية في كل محاور شعر بشار بن برد وتحليلها

والوقوف على مظاهر هذه الرؤية والمتمثلة في موقفه من الحب، ومن الطبيعة و العالم المحيط به.

- دوران تجربة الشاعر بشار بن برد حول الذات الشاعرة وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان.
- اعتماد الصورة الشعرية عند بشار بن برد بلحظات وجدانية مما جعله يجنح إلى استخدام المعجم الشعري الوجداني المألوف كفعل الشعراء العذريين.
- اعتزاز الشاعر بشار بن برد بثقافته الجديدة, وحسه المرهف, وتطلعه إلى المثل الإنسانية العليا, ونفوره من القبح والتخلف.

- **أهداف الدراسة:**

١- إبراز الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد, والوقوف على ما حققه من نجاح في استخدام هذا المعجم الشعري الوجداني.

٢- جلاء غموض ما يكتنف شعر بشار بن برد, واقتحام فضاءاته الشعرية التي تخدم النزعة الوجدانية.

٣- تحديد تجذر النزعة الوجدانية/ الذاتية, وهي ليست جديدة على الشعر العربي و لا يخلو منها أي أدب إنساني في أي عصر من العصور.

٤- التعرف على موقف الشاعر من عالمه وما يحيط به ورؤيته الخاصة للطبيعة والحياة من حوله حيث تتحكم هذه الرؤية في اختيار موضوعاته فضلاً عن جزئيات هذا الموضوع وصوره.

- **الدراسات السابقة:**
- **أتيح لي الاطلاع على معظم الدراسات المتعلقة بموضوع البحث نظريًا وتطبيقيًا ولعل أبرزها:-**

١- بشار بن برد حياته وشعره، د. هاشم مناع، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، وتناول فيه الكاتب نبذة مختصرة عن حياة بشار بن برد وحداثته ورأي القدامى في شعره وفي الجانب التطبيقي من الكتاب يقوم الكاتب بتحليل ثلاثة قصائد للشاعر متوقفًا أمام المعاني والأفكار والعاطفة والأسلوب. القصيدة الأولى: في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والثانية: قصيدته في مدح مروان بن محمد بن مروان وقيس عيلان أما القصية الثالثة فهي في مدح الخليفة العباسي الثالث المهدي.

٢- البديع في شعر بشار بن برد، الرشيد محمد حاج أحمد، رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٦م. تناول الباحث في الفصل الأول حياته ونشأته وأغراض الشعر عنده كما تناول تعريف البلاغة وتطورها

وعرج على البديع وواضعه وأثر البديع في المقامات أما الفصل الثاني فجاء بعنوان المحسنات المعنوية وتناول فيه الطباق والمقابلة والتورية والإرصاد والتجريد والمشاكلة والاستطراد وحسن التعليل والتقسيم والرجوع والاعتراض وغيرها من المحسنات المعنوية وتناول في الفصل الثالث المحسنات اللفظية من جناس بأنواعه وتصريع ولزوم ما لا يلزم ورد الإعجاز على الصدور والموازنة والاقتباس.

٣- الظواهر الأسلوبية في شعر بشار بن برد، فاروق عبدالحميد دراوشة، رسالة دكتوراه، بكلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة اليرموك، ٢٠١١م، جاءت في أربعة أبواب: الباب الأول الظواهر التركيبية والنحوية وتناول فيه التكرار بكافة أنواعه والمحسنات البديعية، ودلالة التقديم والتأخير أما الباب الثاني: فجاء بعنوان ظواهر بلاغية وتناول فيه الباحث التشبيه والاستعارة والكناية وجاء الباب الثالث بعنوان ظواهر دلالية تناول فيه الباحث دلالة الصورة ودلالة الألوان وفي الباب الرابع تناول الباحث الأبنية الإيقاعية مسلطًا الضوء على البنية الإيقاعية والبنية الصوتية.

٤- الصورة الفنية في شعر بشار بن برد، ألفت كمال الروبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية، ١٩٧٦م، وقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول تناولت الباحثة في الفصل الأول تركيب الصورة وفي الفصل الثاني دلالة الصورة وفي الفصل الثالث الصورة والقصيدة وفي الفصل الرابع الصورة وعقيدة بشار الدينية.

٥- الصورة اللونية بين بشار بن برد وأبي العلاء المعري دراسة موازنة، أحمد محمد فريح الخزاعلة، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة جرش الأهلية، قسم اللغة

العربية، ٢٠١٥م، تناول الفصل الأول مفهوم الصورة عند النقاد القدامى والغربيين والمعاصرين كما تناول أهمية اللون في الحياة والأدب عند العميان وسلط الضوء على تعويض الخيال العميان عن حاسة البصر ودرس في الفصل الثاني حياة بشار بن برد وثقافته ومكانته الأدبية والصور البصرية والسمعية لديه وفي الفصل الثالث تناول حياة أبي العلاء المعري وثقافته ومكانته الأدبية وعماه وشعره ودراسة مقارنة بينه وبين بشار بن برد وفي الفصل الرابع أكمل الموازنة بين الشاعرين من حيث نظرتهما للمرأة وموقفهما من الدين وعنى بالمفارقات والاختلافات بينهما.

٦- أسلوبية غزل بشار بن برد، علي أكبر أحمدي، إبراهيم نامداري، بحث منشور بمجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل تناول فيه الباحثان غرض الغزل في الشعر العربي منذ القديم لغة واصطلاحًا وتعريف مفهوم الأسلوب وقسما أنواع الغزل عند بشار إلى الغزل الماجن والغزل العفيف، والغزل التقليدي، وسلط الباحثان الضوء على المظاهر الأسلوبية في غزل بشار بن برد.

٧-الاتجاه النفسي للأدب , رسالة ماجستير, للباحث عرفات أمين, كلية الآداب جامعة المنيا, ركز فيها الباحث على شعر بشار بن برد, ١٩٩٩م.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

١- موضوع البحث" الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد دراسة في الأسلوب" لم تفرد له دراسة علمية, فلم أقف بعد البحث والاطلاع على أحد من الباحثين السابقين تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل. معظم الدراسات السابقة التي تناولت شعر بشار بن برد جاءت أغلبها عبارة عن تأملات

وانطباعات عامة ولم تكن في إطار منهج علمي في درس التجربة الشعرية الوجدانية عند الشاعر.

٢- أن الشاعر بشار بن برد أحد الشعراء الذين امتازوا بدقة التصوير وبراعة التعبير حيث عدّه كثير من الدارسين زعيم طبقة المجددين وأغزرهم شعرًا وأكثرهم إبداعًا.

٣-لم يحظ الشاعر بشار بن برد بدراسات نقدية كغيره من شعراء عصره كالمتنبي والبحتري وابن الرومي وأبو نواس.

٤- امتزاج شعر بشار بن برد بنفسه وذاته حتى صار ديوان شعره ترجمة باطنية لذاته.

٥- شعر بشار بن برد في مجمله عبارة عن شعر ذاتي عبر فيه عن مكنونات نفسه ويتبن ذلك من خلال الوقوف على حياة الشاعر من خلال أشعاره, وما عاناه من فقر وفقده لحاسة البصر كلاهما جعله يشعر بالاغتراب سواء أكان اغترابًا مكانيًا أم اغترابًا اجتماعيًا أم اغترابًا عاطفيًا.

- **تساؤلات الدراسة:**

يمثل الاتجاه الوجداني تيارًا من تيارات الشعر العربي الحديث ولعل ما يميز هذه الاتجاه وهذه النزعة الوجدانية الهروب إلى أحضان الطبيعة والتوحد معها نتيجة القهر واليأس والشعور بالاغتراب ومن ثم جاء هذا البحث محاولة لاكتشاف وتحليل أنماط النزعة الوجدانية عند بشار بن برد، وتتمثل تساؤلات الدراسة فيما يلي:

١- إلى أي مدى كان التعبير الذاتي في الشعر الوجداني؟

٢- ما دواعي النزعة الوجدانية في شعر الشاعر بشار بن برد؟

٣- إلى أي مدى كانت الطبيعة والعاطفة صورة شعرية كثقافة وحضارة نجح بشار بن برد في صهرها في تجربته الإبداعية؟

٤- ما خصائص الشعر الوجداني؟

- **مصطلحات الدراسة:**

- الوجدان. - الذاتية.

- **مادة البحث:**

ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج١، ج٢، ج٣، ج٤، صادر عن وزارة الثقافة الجزائرية ٢٠٠٧م.

- **منهج الدراسة:**

أما عن منهج البحث فقد رأيت أن أوظف **المنهج الأسلوبي** لنتتبع من خلاله تلك النزعة الوجدانية في شعر بشار بن برد, ونحاول الكشف عن الدلالات والإيحاءات والقيم الفنية التي تضمنها شعر بشار وإدراك مستوى الترابط بين القيم التعبيرية والتجربة الشعورية التي عرضها بشار من خلال الوصف والتحليل لتجربته الشعرية الوجدانية.

- **الصورة المقترحة للدراسة:**

تأتي هذه الدراسة في فصلين يسبقهما مقدمة ثم تمهيد ويعقبهما خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع, توضح المقدمة أسباب اختيار الموضوع, وأهداف الدراسة، وأهميتها, والدراسات السابقة, والمنهج وأدواته، ويتناول التمهيد مفهوم الوجدانية لغة واصطلاحا, وخصائص الشعر الوجداني التي تمثلت في شعر بشار.

الفصل الأول: الصورة الشعرية في شعر بشار بن برد يتناول ماهية الصورة الشعرية وأثر الخيال فيها وصلتهما بتجربة الشاعر وكيف أن الصورة الشعرية هي روح الشعر ويأتي هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: مكونات الصورة الشعرية متمثلة في العاطفة والخيال حيث تكلمت عن تلك العاطفة الحزينة التي طغت على بعض أشعار بشار بن برد, وتدرجها بين التشبب والبرود في قصائده الوجدانية أما بالنسبة للخيال, فقد تناولت أقوال الأدباء عن مفهوم الخيال وماهيته وخصوبة الخيال وسعته عند بشار.

المبحث الثاني: أساليب تشكيل الصورة عند بشار وذلك من خلال تسليط الضوء على تراسل التشبيه والاستعارة والكناية, وتراسل الحواس.

الفصل الثاني: التجربة الشعرية

يشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاقة بشار بالشعر وعرضت لبعض آرائه النقدية في الشعر .

المبحث الثاني: دواعي الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد ,ويشمل ثقافته, عاهته.

المبحث الثالث: محاور الوجدانية في شعر بشار, وتشمل التجربة العاطفية (الحب), الطبيعة المحيطة به.

وأخيرًا تأتي الخاتمة متضمنة نتائج البحث والتوصيات.

التمهيد:

أولا : مصطلح "الوجدانية":

وجد: الواو والجيم والدّال: يدلّ على أصل واحد، وهو الشيء يلفيه. ووَجدْتُ الضّالة, وِجدانًا. (وحكى بعضهم: وجدت في الغضب وِجدانًا). وأنشد من [الوافر]: [i](١)

كـــــلانا ردَّ صاحبـــــه بيأس على حَنَـــــقٍ ووِجدانٍ شـــديد

والوِجْدان، في أصل اللغة، لِمَا ضاع أو لما يجري مجرى الضّائع في ألّا يعرف موضعه(٢). وفي (الكلّيات) "الوجد: وجدت في المال وُجْدًا- بضم الواو. وفي الغنى جِدة – بكسر الجيم. ووجدت الضّالة وجدانًا. ووجدت في الحبِّ وَجْدًا، بالفتح (٣).

يطلق لفظ الوِجْدان على معنيين، الأول: كل إحساس أوليّ باللّذة أو الألم, والآخر: ضرب من الحالات النّفسية من حيث تأثرها باللّذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة (٤).

وفي الاصطلاح العام "الوِجْدان" يأتي للتّعبير عن: حالة نفسية وانفعال عاطفيّ مُ[ii]فْرِحٌ أو مؤلم. وفي الأدب، هو: الإحساس الدّاخليّ لإدراك قيمة العمل الأدبي [iii](١)

أذن, تعتبر (الوجدانيّة) قيمة فنّيّة روحية تتمثّل في ترجمة رؤية الشّاعر الذاتية وإحساسه بكل ما يدور حوله من مظاهر جمال الحياة بأشكالها المختلفة, فيترجم

استجابته لذلك من خلال شعره؛ فيعبر بصدق عن موضوعه, ويحدد صوره الفنية. و الدكتور (عبد القادر القط) هو أول من حرّر لنا مصطلح "الاتجاه الوجدانيّ "، وأرسى منهجًا متكاملا لدراسة الشّعر العربيّ المعاصر تحت لوائه"[٢], فالذاتية: تعني التعبير عن ذات الشاعر وتصوير أحاسيسه, ومشاعره, وعندما ينفعل الشاعر بموضوع معين تتحول إلى التجربة الشعرية, التي تمثل الوجدان في وصف المشاعر والأحاسيس والانفعالات والعواطف. و الاتجاه الوجداني يمثل تيارًا من تيارات الشعر العربي الحديث, ولعل ما يميز هذه الاتجاه, وهذه النزعة الوجدانية الهروب إلى أحضان الطبيعة والتوحد معها نتيجة القهر واليأس والشعور بالاغتراب.

ثانياً– خصائص الاتجاه الوجداني في الشعر:

لقد استطاع كثير من الشعراء في العصر العباسي الاستفادة من تغير نمط الحياة الاجتماعية والثقافية, حيث انعكس تغير أنماط الحياة في العصر العباسي على الشعر واتصف بخصائص فنية مختلفة, مثل جدة الأساليب, وبروز الخيال.

وذكر الدكتور عبد القادر القط سمات الوجدانية: "ومن دوران التّجربة حول الذّات وانطلاق الصّورة الفنّيّة من الوجدان يتسم الشّعر الوجدانيّ بسمات فنّيّة عرف بها؛ من ميل إلى الصّورة الخياليّة والتّجسيم والألفاظ الشّعريّة المحملة بدلالات شعوريّة غير مقيّدة بمعانٍ ماديّة محدودة" [١]

كما نجد اللغة الشعرية عند الشعراء أصحاب الاتجاه الوجداني في العصر العباسي لغةً سالمةً من الخطأ، تجمع بين معاني المتقدمين وما استجد في هذا العصر من معاني الحضارة الجديدة, في لفظ جيد سليم فصيح, ويتمثل ذلك في شعر بشار بن برد الذي يؤكد ذلك عندما يتحدث عن لغته فيقول : "ومن أين يأتيني الخطأ ووُلدتُ

هَهُنا ونشأت في حجور ثمانين شيخًا من فصحاء بني عُقيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمةً من الخطأ، وإنْ دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم"[٢] .

ومن أبرز خصائص الاتجاه الوجداني أيضا العودة إلى الطّبيعة؛ والتفنن في وصف مظاهر الجمال فيها, حيث يلجأ إليها الشعراء في تعويض ما يلحقهم من ألم ورفض وقسوة من المجتمع, ومنهم من يلجأ إلى الصورة التقليدية كما هو الحال عند الشعراء الجاهليين, فيقف على الأطلال ليصور الألم الدائم في وجدانه, فيجعل الطلل رمزا لهذا الألم الذي يصور حالة من حالات الفقد العاطفي المفروض.

الفصل الأول: ماهية الصورة وأثر الخيال فيها, وصلتهما بتجربة الشاعر:

المبحث الأول: مكونات الصورة متمثلة في العاطفة والخيال:-

تعد الصورة الشعرية من أهم أشكال الصورة في التعبير الفني للتجربة بذاتها فهي" عملية فنية مركبة يشحذ فيها الشاعر كل طاقاته من ذهنية ونفسية وتعبيرية, ثم يستخدم هذه الطاقات في تقديم صورة فنية لمشاعره الثابتة المرتكزة حول موضوع معين, وهذه الصورة نتيجة لتأمل عميق وليست نتيجة لفورة إحساس مؤقت" [١], وهذا ما نجده عند بشار الذي استطاع بالرغم من عماه أن يعبر عمّا يخالج نفسه من مشاعر وأحاسيس تتلاءم مع روح العصر, في حس مرهف, وشاعرية خصبة تجمع بين القديم والجديد, يظهر أثرها في شعره وصوره.

فالشعر يكسب أهميته من هذه الأداة التي ينقل من خلالها تجربته الشعرية لذلك " الصورة تبقى أداته الأولى والأساسية, تفرق عصرا عن عصر, وتيارا عن تيار, وشاعرا عن شاعر, وتظهر أصالة الخالق, وتدل على قيمته, وترمز إلى عبقريته وشخصيته, بل وتحمل خصوصيته وفرديته, لأنها الأداة الوحيدة, التي ينقل بها تجربته"[١].

لقد كان بشار يهتم كثيرا في نقل الصورة التي يعبر بها عن أفكاره, ويحاول الإتيان بصورة واضحة قد تتفق مع روح التجديد الذي لم يتعمده, ويجهد نفسه في طلبه, وهنا تظهر أصالته في الإبداع, وتترك أثرا بعيدا في شعره, خاصة أنه اطلع على مختلف روافد الثقافة في عصره. "فللشاعر الوجدانيّ جرأة ظاهرة على علاقات الأشياء في الواقع وإقامة علاقات جديدة مكانها يقوم فيها الخيال البعيد بتركيب صور مجسّمة جديدة .وله إلى جانب ذلك جرأة على ألفاظ اللّغة وبناء جملها نابعة من سيطرة واضحة على أداته الفنّيّة، وليست عن عجز أو جهل بأصول اللّغة وأسرارها وقد تنتهي به هذه الجرأة وهذا الخيال البعيد أحيانًا إلى شطط في التّجسيم أو عقد الصّلات بين الأشياء أو استخدام الألفاظ والعبارات، وهو أمر مألوف عند الشعراء الرومنسيين"[٢].

فالخيال الشعري لا يتوقف عند مجرد الرؤية البصرية, بل قد يتجاوز ذلك إلى نظرة شعرية عبارة عن "تركيب سحري ومزيج عجيب, يعتمد على ما تختزنه الذاكرة, وما تراه العين وما يتنسمه الأنف, أو يتذوقه الفم, أو تحسه الأنامل أو تسمعه الأذن، هو ربط بين هذه جميعا, وبقدر ما تقدم الذاكرة من مختزنها من رد فعلها تجاه الأشياء يكون الخيال قويا، يؤدي انفعال الشاعر و إحساسه" [١], ويظهر ذلك جليا في شعر شاعرنا.

وتظهر قوة الخيال المعتمدة على الحواس في رسم الصورة عند بشار بن برد في قوله[٢]:

يا ليـــــــلتي تـــــزداد نُكـــــرا ... مِـــن حُبِّ من أَحْبَبْـــــــتُ بِكرا

حـــــــوراء إِنْ نَـــــظـــرَتْ الـــي ... ـــكَ سَقَتْـــــكَ بالعيـــنين خَمرا

وكـــــأنَّ رَجْـــــــعَ حديثهـــــا ... قِطَـــــــــعُ الرِّيَـــاضِ كُسِينَ زَهرا

وكـــأن تحـــــــت لـــــسانهـــــا ... هاروتَ يَنْفُـــــثُ فـــــــيه سِحرا

وَتَخَـال ما جَمَعَـــــــتْ عَـــلي ـــــه ثيابَهـــــا ذهـبا وعِطـــرْا
وكأَنـــها بَـــــرْدُ الشـــــــرا ب صـفا ووافـــــــق منك فِطْر
جِنيّـــــــــــــةٌ إِنْسِـــــــــيَّةٌ أو بـــــين ذاك أجـــــلُّ أمـــرا

استطاع بشار بن برد , وهو أعمى لم يرَ الدنيا قط أن يطوف بخياله في عالَم المرئيات، ويستعين في رسم صوره على الحواس الأخرى, يقول الدكتور علي نجيب عطوي : "إنّه لم يستطع أن يأتي بصور جميلة كالمبصرين ، إنّ هذا من الأمور الصعبة ، وإن لم تكن العين عند بشار ، فليكن الخيال ، ومهما ارتقى وارتفع ، ليحلّ محلَّ العين في عملية التصوير ، فإنّما يقوم عادةً بالاعتماد على الصور التي كان قد سمعها ، أو خبرها من خلال تجاربه الخاصة, فيستعير تلك الصور, أو يخترع من خياله هو صورا أخرى, ولكنها في الغالب تكون مقصرة أن تبلغ المستوى الذي تبلغه صور رؤية العين" [1],ولكن من يتصفح ديوان بشار, ويقرأ قصائده, يختلف مع هذا الرأي, فصوره أغلبها جميلة طاف بها في خياله المرهف, وتفوق على المبصرين في تصوره ذلك.

والمتصفح لديوانه يستطيع أن يلاحظ ذلك بوضوح, فهو شاعر استطاع بقوة العزيمة والإرادة أن يحقق الكثير.

يقول أيضا: [1]

كالشـــمسِ إِنْ بَرَقـــــتْ مَجَاسِـــــــدُها تحكي لنا اليـــاقُوتَ وَ الذهبـــــا
أَنْـــــتِ يا نَفْـــــسُ أنيـــــبي آبَـــــــتِ الشـــــمسُ فَـــأوبي
لاَ بَلْ هي الشمـس أتيحَـــتْ لَنَـــا وَسْـــوَاسَ هـــــــم زَعَمَ النـــاسب
صورة الشـــمسِ في قِنـــاَعِ فَتـــــاَةٍ عَرَضـــتْ لي فلـــــيس لبي بلـــبِّ

تؤكد الشواهد السابقة أن الشاعر إنْ حُرِمَ من نعمة البصر , فهو لم يُحرَم نعمة القدرة على الخيال والتصوّر و الادراك بحواسه و عواطفه التي أجاد بها وأبدع.

المبحث الثاني: أساليب تشكيل الصورة عند بشار من خلال تراسل الحواس والتشبيه والاستعارة:-

لقد اعتمد بشار في تشكيل الصورة الفنية على الحواس للدلالة على المعنى الذي يتناوله في وصفه, واستعان بالحواس الأخرى غير المرئية؛ ليسد الخلل الحاصل من عاهته التي لا تمكنه من الوصف البصري, فكان ينتقل من الوصف البصري إلى الوصف المسموع أو المشموم أو الملموس, لقد كان يعتمد على السمع اعتمادا كبيرا في تصويره وتشبيهه للأشياء والألوان التي يشكل حضورها رافدا أساسيا في عملية الأداء الفني, "ومادامت الحواس والقلب ومدركاتها هي الرافد الأساسيّ للصورة الفنية، فإن علينا أن نتوقع حضور اللون في عملية الأداء الفني ليؤدي مهمة المفردة الحسية حيثما يكون لها مدلولها التأثيري"[١], ومن الأمثلة على ذلك قوله: [٢]

أيُّـها الســاقيانِ صـــــبّا شرابـــي واســـقيانِي من رِيق بيضاء ر ود
إنّ دائِـــي الضــما وانّ دوائِـــــي شربة من رُضـــاب ثَـــــغرٍ برود
ولها مضـــحك كـغـــرّ الأقاحِـي وحديـــثٌ كالوشي وشي الـــبرود
نزلت في الـــســـواد من حبــّة ال قلب ونالت زيـــــادة المـــستزيد

لقد كان بشار بشعر بوجود محبوبته دون أن يراها من خلال رائحتها التي تشبه رائحة المسك والعنبر, ومن الأمثلة على ذلك قوله:[٣]

يا أطيـــــب الناس أرداناً وملتزما مُنِّي علـــيَّ بيومٍ منـــــــك واحتسبي

وقوله في تشبيهها بقارورة العطر التي كلما هززتها فاحت منها الرائحة الزكية:[٤]

كقارورة العـــــطّار أو زاد نعتهـــا تلــين إذا عاتبـــــتها وتطـــــــيب

لجأ بشار أيضا إلى التشبيه القائم على التخيل الافتراضي الذي يغلب عليه التصوير الذاتي" أنه كان يسمع منه ويرى في وقت معا, وأنه كان يشرك فيه حاستين بحظ حاسة واحدة, ويصغي إليه أصواتا مسموعة, ثم يتصوره ألوانا منظورة, فيها الصفراء والحمراء, وأصباغ المطارف والأزهار والثمار "[١].

فها هو يشبه وجه محبوبته بالشمس, معتمدا على التصوير الذاتي فيقول:[٢]

حوراء جاءت من الفردوس مقـــبلة فالشمسُ طلعتـــــُها والمسك ريّاهـــا

بشار رغم عماه استطاع أن يأتي بما لم يأت به الآخرون، ولم يتخلَ عن أي أسلوب من أساليب تشكيل الصورة الفنية' فنجده يلجأ إلى التشبيه القائم على التشخيص للأشياء الجامدة, ويبدع في إسقاط المشاعر الإنسانية عليها, ومن ذلك قوله:[٣]

وكأنّ الهـــــمّ شخـــصٌ ماثـــلٌ كلـــــّما أبصـــره النـــوم نـــــــفر

ومن الصور البيانيّة الرائعة لبشّارٍ في وصف المعركة قوله: [٤]

كَأَنَّ مُثارَ النَّقْعِ فَـــوْقَ رُؤُوسِهـــــمْ وَأَسْـــــيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبـــــُهْ

يعلق الدكتور الجرجاني على هذا البيت بقوله: "أنَّك تجد لبيت بشّارٍ من الفضل، ومن كرم الموقع ولُطْف التأثير في النفس، ما لا يقلّ مقدا ره، ولا يمكن إنكاره، وذلك لأنه راعى ما لم يُراعه غيره، وهو أنْ جعل الكواكب تهاوى، فأتمّ الشَّبه، وعبّر عن هيئة السيوف وقد سُلَّت من الأغماد وهي تعلو وترسُب، وتجيء وتذهب، ولم يقتصر على أنْ يُريك لمعانها في أثناء العجاجة كما فعل الآخرون، وكان لهذه الزيادة التي زادها حظٌّ من الدقّة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفضيل" [١]

كما اهتم بالاستعارة اهتماما كبيرا , و يرى الجرجاني أنها "أمد ميدانا وأشد افتنانا وأوسع سعة وأبعد غورا وأذهب نجدا من الصياغة وغورا أن نجمع شعبها وشعوبها

وتهدر فنونها ومن خصائصها أنها تعطيه الكثير من المعاني باليسير من اللفظ, وتخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"[٢].

لم يخل شعر بشار بن برد من العناية بالصور البيانية, التي قد تتزاحم في موضع واحد فنجده يهتم بالاستعارات الصريحة والمكنية, ويظهر ذلك واضحا في قوله:[٣]

غَابَ القَذَى فَشَرِبْنَا صَفْوَ لَيلَتِنَا حِبَّيْنِ نَلْهُو وَنَخْشَى الواحِدَ الصَّمَدَا

ففي المصراع الأوّل أربع استعارات : تصريحية، ومكنيّة, أما التصريحيّة فهي تشبيه الرقيب بالقذى، لأنّه يكدّر عليه صفو التمتع بالحبيب, والصفة الدالة على ذلك الغياب, أما المكنيّة فهي في تشبيه الليلة بالخمر، ورمز للمشبه به بصفة الشرب .

يتضح مما سبق مهارةٍ بشار بن برد البيانية التي تكشف عن سر جمال النصّ الشعري عنده وتميّزه, فهو ينهج نهج الشعراء المتقدمين في استخدام الوسائل البيانية, لكنه يعبر عنها بتصاوير جديدة غير مألوفة.

الفصل الثاني: التجربة الشعرية وتأتي في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: علاقة بشار بالشعر الوجداني, وآرائه النقدية:-

تكمن علاقة بشار بالشعر الوجداني من خلال أمرين" أولهما ذاتي وثانيهما موضوعي متصل بثقافة الشاعر, وخصوصية عصره, أما الذاتي فهو باعث أسلوبي متصل بأن روح الشاعر أو شخصيته تدخل في عمله الفني لتنقله" [١], إلى " شعر فيه رؤيا الشاعر المتأملة للحياة وتجربته وإحساسه إزاءها... تجربته تنبع من أعماق كيانه, وتستبطن ما هو إنساني فيها, وبذلك تخرج من مجرد التجربة التي تتعلق بحدود ذات الشاعر الضيقة إلى آفاق أرحب في التعبير عما هو إنساني عام" [٢], أما الموضوعي

المتصل بثقافة العصر , فهو يؤكد على إبداع الشاعر في التعامل مع النص بحيث ينتج عناصر إبداعية جديدة لا تحاكي عمل السابقين, وإنما تعبر عن تطلعاته وآماله في الحياة, وأحزانه الذاتية نتيجة قلقه المستمر, وغربته عن مجتمعه يقول ابن عاشور: "لقد عرفتُ شعرًا كثيرًا لشعراء العرب في الجاهلية والإسلام، وعُنيت بتتبّع ما في خلاله من أحوال العرب وتاريخهم، فما رأيت شاعرًا أوْفى ذكرًا لها وإشارة إليها مثل بشّار، ذلك أنّ شعراء الجاهلية ما كانوا يحتفون بذكر أحوال حياتهم ومعتقداتهم عدا أحوال الغرام والضيافة والحرب؛ لأنّ تمثل تلك الأحوال نصب أعينهم يجعلهم يستسمجون الحديث عنها لرواة أشعارهم، إذ يرونه من الإخبار بالمعلوم، وقد قفى على أثرهم في ذلك شعراء العصر الأول الإسلامي، أمثال ذي الرمّة والعجّاج والفرزدق وجرير، لقربهم من بداوة الجاهلية أو لاشتغالهم بأبواب الهجاء من الشعر[١], والنص القرآني كان قد أعطى " دليلا حيا على أن النص الذي ينتج عناصر إبداعية بنفسه, وليس النص الذي ينظر إلى أمثال سابق ويحاول احتذاءه أو تقليده"[٢], وهذه هي الرؤية الجديدة التي يتمثلها بشار بن برد من خلال شعره.

كما يؤكد بشار على مسألة مهمة تتعلق بالنقد, فهو يرى أن الشعراء أقدر من غيرهم في معرفة الشعر ونقده ومشاركة علماء اللغة في ذلك, ومن الشواهد النقدية التي يتضح فيها مشاركة الشعراء في المناقشات, وتذوقهم للشعر قول بشار بن برد :[٣]

تلاعب نيـنان البـــــحور وربّما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وكان قد قال: (تينان البحور) فعابه بذلك سيبويه, فجعله (نينان البحور)[٤], وعابه الأخفش أيضا وقال: "لم يُسمع بنون ونينان فبلغ ذلك بشاراً فغضب منه, إلا أن الأخفش همّ من هجاء بشار فاعتذر له وصار يحتج في كتبه بشعره ليبلغ ذلك بشاراً, فكف عنه" [١].

ومن المواقف النقدية المتميزة لبشار قوله لأبي العتاهية: أنا والله أستحسن اعتذارك من دمعك حيث تقول: [٢]

كم من صـــــديق لي أســـــتا رقـــــه البكاء من الحيـــــاء
فـــــإذا تأمـــــل لا مـــني فأقـــــول ما بي من بكـــــاء
لـــكن ذهبـــــــت لأرتـــدي فـــــطـرفت عـيني بالـــــرداء

فقال له أبو العتاهية: لا والله يا أبا معاذ: ما لذتُ إلا بمعناك ولا اجتنيت إلا من غرســـك حيـــث تقول: [٣]

شكوت إلى الغـــــواني ما ألاقـي وقلت لهـــــن ما يومـــــي بعـــيد
فقلنّ بكـــــيت قلـــت لهنّ كلا وقد يبكي من الشـــــوق الجـليد
ولكني أصـــــاب سواد عيـــــني عُـويد قـذى له طرف حـــــديد
فقـــلن فما لدمعـهما ســـــواء أكلتا مقـلتيك أصاب عـــــــود

أن كلا الشاعرين عبر بأسلوبه عن تعليله لنزول دموعه, غير أن أبا العتاهية زاد على التعليل بأسلوب الحوار الذي دار بينه وبين الغواني[١]

ومن القضايا النقدية الأساسية التي تصدى لها بشار أيضا قضية السرقات التي كثر الجدل والخصومة فيها, يروى أن يشاراً قال:[٢]

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيـــبات الفاتك اللهـــج

أخذه تلميذه سلم الخاسر فقال:

من راقب الـــــناس مات غمـــــا وفـــــاز باللـــذة الجـــــسور

فقال بشار حين سمع بهذه السرقة: "فتأخذ المعاني التي قد عنيت بها ونقّبت في استنباطها فنكسوها ألفاظا أخف من ألفاظي حتّى يروى ما تقول, ويذهب شعري, لا

أرضى عنك أبدا قال: يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه"[٣], وما سبق عرض موجز لبعض آرائه النقدية في الشعر .

المبحث الثاني: دواعي الاتجاه الوجداني:-

أولا: ثقافته بشكل عام:

روى بشار عن نفسه أنه أنشد أكثر من اثني عشر ألف قصيدة في شتى الأغراض الشعرية, ولكن ما وصل إلينا من شعره أقل بكثير مما ذكره, حيث حذفت الرقابة الدينية والسياسية والاجتماعية في عصره الكثير من شعره في الغزل والهجاء, أما المديح فقد بالغ فيه الشاعر؛ لأنه كان يعتمد عليه في نيل العطاء من الممدوح, لينفق ذلك في ملذاته عندما يرتاد مجالس اللهو والغناء ويتغنى بقصائده ومن تلك القصائد التي تمثل

هذه الشخصية الاجتماعية قوله في مغني': [١].

وذَات دَلٍّ كـانَّ البـــــدر صــورتُها باتت تغنّي عميدَ القلـــــب سكرانا

إنَّ العـــيونَ التي في طَرْفِها حَـــوَرٌ قتـــــلننا ثم لم يحيـــين قتـلانا

فقُلْتُ أحسنْـتِ يا سؤْلي ويا أَمَلِـــي فأسمعـــــيني جزاكِ الله إحـــــسانا

يا حبذا جـــبلُ الرَّيَّان من جـــــبل وحبذا ســـــاكن الريان مَـــــنْ كانا

قالت فَهَلاَّ فدَتْكَ النـفس أَحْسنَ مِن هذا لمن كان صبّ القـــــلبِ حيرانا

يا قومِ أذْنِي لِبْعضِ الحيّ عاشـــقة والأُذْنُ تَعْشَـــقُ قبل العَـين أَحْيانـا

فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعـــةٌ أَضرمتِ في القلب والأَحشـاءِ نِيـرانا

فأسمعيني صـوتاً مـطرباً هزجـــاً يـــزيد صبًّا محبـــّاً فيـك أشجانا

يا لَيْتَـــنِي كُنـــتُ ثَفّـاحاً مُـفَلـَّجَةً أوْ كُنْـتُ من قُضـبِ الرَّيحان رَيْحَـانا

حتّى إذا وَجَدَتْ ريــحي فأعْجـبَــهَا ونحنُ في خَلْـــوةٍ مُثِّلـــتُ إنــسانا

تمثل هذه الأبيات أنموذجا رائعا لثقافة الشاعر بشكل عام , ويتضح ذلك من خلال الحواريات , وتضمينه القصيدة بعض أبيات جرير الشاعر الأموي الذي تملأ قصائده الساحة الشعرية في ذلك الوقت, محاولا إظهار مدى حبه له, وولعه بشعره.

لقد كان أيضا تردد الشاعر المستمر على المربد, للاستفادة من الفحول أمثال الفرزدق و جرير , والاطلاع على الثقافات المختلفة, من أهم العوامل التي أثرت في تكوينه العقلي, وهذا ما يؤكده الكثير من النقاد, حيث ساهم ذلك في تنوع ثقافته العربية الرصينة " التي هيأته للتفوق في فن الشعر, وساعدته في نشأته اللغوية واختلافه إلى المربد, وأيضا خروجه إلى البادية حتى يأخذ اللغة من ينابيعها الأصلية, وبذلك تحولت إليه السليقة اللغوية العربية تحولا لفت إليه الأنظار" (1).

وإذا تطرقنا إلى نشأته الأولى, نجده قد نشأ وترعرع في بني عقيل بن كعب" وتربى في منازلهم, واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة و الشعر" (1).

كما ذكر الدكتور شوقي ضيف أيضا أهم روافد ثقافته التي شكلت بمجملها لغته فقال: " أثر فيه مرباه العربي حتى أصبح عربيا خالصا في أسلوبه وتعبيره... , فهو يزاوج بين الماضي والحاضر, يصف الأطلال والصحراء ولكن بذوق حضري جديد, فيه رقة, وفيه دقة في استنباط المعاني وتوليدها. أنه ربيب بيئة المتكلمين, وقد أخذ عنهم قدرتهم في بسط الأدلة وتفصيل الأفكار وتفريعها, وتشعيب المعاني وتشقيقها, كما أخذ عن الفرس أمثالهم, وحكمهم, وتحول إلى معاني الشعر الجاهلي يستخرج منها ما لا يحصى من خواطر, ويستطيع أن يتبين ذلك كل من يقرأ مديحه, فنسيجه العام قديم,

ولكن خيوطا كثيرة جديدة تلمع في هذا النسيج, حتى في نماذجه الموغلة في التشبيه بالبدو"[٢].

لقد كان أيضا لغربته وانتقاص المحيطين له أثر واضح في عاطفته الشعرية, التي فتحت له أفاقا أوسع في التعبير عن شعره, وجعلته يحتل مكانة عالية بين معاصريه, مستقلا بذاته عنهم؛ لأنه يعبر عن ذاتيته وقضاياه الخاصة فيبدع ويبتكر دون تقليد للآخر.

" أن الشعور بالغربة, بسبب العاهة دفعه– بشكل خاص– إلى السخرية والخروج عن المألوف, فعدّ الشعر عنده عملا أدبيا داخليا نابعا عن الذات وتعبيرا عن موقفه الفكري من الحياة, لا عن الموروث من العادات, أو الاستسلام للمنطقية الشرّية والمضي في التقليد وأصبح الشعر في ذات الوقت ملاذا يجد فيه كل من تعزيته وخلاصه, وتحقيق وجوده وسبيلا على لمّ شتاته المبعثر نتيجة لشعوره بالغربة"[١],هذه العوامل جميعها أثّرت فيه, وخاصة تلك العاطفة الجياشة الحزينة التي لعبت دورا بارزا في تحريك كيانه وملكاته للتعبير عن ذاته, ذلك كله أثرى شعره, وأضفى حيوية على عاطفته وغذى عناصر تجربته الشعرية المختلفة.

ثانيا: عاهته:

لقد كان لتكوينه الجسماني وعاهته وانتقاص المحيطين له أثر واضح في عاطفته الشعرية, التي فتحت له أفاقا أوسع في التعبير عن شعره, وجعلته يحتل مكانة عالية بين معاصريه, كما أن بروز الملامح الشخصية للشّاعر من خلال تعبيره الفنّيّ عن عواطفه وانفعالاته يظهر لنا الاستقلال الذّاتيّ عن الآخرين؛ لأنه يعبر عن ذاتيته وقضاياه الخاصة فيبدع ويبتكر دون تقليد للآخر, "أنّ رؤية الأديب أو الفنّان هي الّتي تحدّد له موضوع فنّه، وهي لا تحدّد له الموضوع فحسب ولكنّها تحدّد له أيضًا الزاوية

الّتي يتناول منها الموضوع، ولا يقتصر تأثير الرّؤية عند هذا الحدّ، ولكنّها تتجاوزه إلى تحديد طبيعة الصّور الّتي تكون لبنات هذا الموضوع والّتي تنثال على مخيلة الفنّان، وهو في مرحلة بناء عمله الفنّيّ ذلك لأنّ ذاكرة الإنسان لا تستطيع الاحتفاظ بكلّ الصّور الّتي تمرّ في حياته، أو الصّور الّتي تبرز أمامه من بين صفحات الكتب . ولكنّها تحتفظ بالصّور الّتي تحفر عميقا في نفس الإنسان.وإذا صحّ ما نذهب إليه فإنّ رؤية الفنّان لا تصبح مؤثّرة في اختياره لموضوعه فحسب، ولكنها

تصبح أيضًا مسؤولة عن اختيار التّكتيك الفنّيّ الّذي يتناول به هذا الموضوع" [١].

فيما يرويه صاحب الأغاني, يقول: " ولد بشار أعمى فما نظر إلى الحياة قط, وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره, فيأتي بما لا يقدر البصراء لأن يأتوا بمثله, فقيل له يوما وقد أنشد قوله:[٢]

كأَنَّ مَثَارَ النَقـــــْع فوق رُؤُ وسِنـَا وَأَسيافُنَا ليلٌ تهـــــــاوى كواكبـــــه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب, ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء, فيتوفر حسه, وتذكو قريحته, ثم أنشدهم قوله: [١]

عَمِيتُ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ العــمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَنّ لِلْعِــلمِ مَعْقِلا

وَغَاضَ ضِياءُ العَيْنِ لِلْقَلبِ فَاغْتَدَى بِقَلــْبٍ إِذَا مَا ضَــيّعَ النَّاسُ حَصَّلَا

وَشعرٍ كنـورِ الرَّوضِ لاءمتُ بيـنه بقولٍ إذا مَا أحزن الشـعر أسْهــل

"فقد أخذ عنده الحس مكان الخيال، وأغراه فقد البصر باستحضار ما فاته من المحسوسات, التي لا يقنع منها المبصرون"[٢].

ولا شك في أن الشاعر نتيجة لما لقيه من السخرية والاستهزاء من البيئة التي عاش فيها نتيجة لفقده نعمة البصر, أن تكون به نزعة طبيعية نحو البذاءة والهجاء، ولا شك

أيضا أن الذي نماها فيه إلى ذلك الحد المفرط، معاناته مع مجتمعه الذي كان الشاعر يرفض الكثير من قيمه, وعدم تكيفه أيضا مع البنية الاجتماعية لعصره.

المبحث الثالث: محاور الرؤية الوجدانية في شعره:-

لا يخفى على المتخصصين في التراث الأدبي أن أي عمل أدبي لابد أن يصور الحياة في بيئة الأديب, تلك الحياة التي يطرحها الواقع؛ ليحدد العلاقة بين الذات والموضوع الذي يتناوله الشاعر دون غيره من الموضوعات, بحيث يكون للشاعر رؤية وموقف خاصة لما يختاره من موضوعات تتعلق بالحب أو في تصور الطبيعة والكون وهكذا, يقول الدكتور عبد المحسن طه بدر: "ليست الطّبيعة والحبّ جديدين على الشّعر العربيّ، لكنّ الجديد فيهما عند شعراء الحركة الوجدانية أنّهما يمتزجان بوجدان الشّاعر امتزاجا، يكاد يتّحد فيه الوجود الخارجيّ بالوجود الدّاخليّ؛ فتحمل التّجربة دلالات أرحب من الدّلالات المألوفة في التّجربة العاطفيّة التّقليديّة، ويصبح للشّعر مستويان: أحدهما مرتبط بحدود التّجربة في الواقع الخارجيّ، والآخر ناطق بأشواق الإنسان عامّة، و إحساسه بالكون والحياة والمجتمع " [1], من ذلك يمكن تلخيص محاور الرؤية الوجدانية في شعر بشار على النحو التالي:

أولا: التجربة العاطفية عند بشار (الحب):

تحتل المرأة والتغزل بها مكانة متميزة في وجدان الشاعر بشار بن برد, ولا نجد شاعرا في تاريخ العرب إلا وتحدث عن المرأة, فحبها والتغني بجمالها وصفاتها استحوذ على قلوب وعقول الكثير من الشعراء على مرّ الفترات التاريخية مع اختلاف الصور التي رسموها لها في أشعارهم بين الغزل الحسي و العفيف, وشاعرنا قد أطلق العنان من خلال قصائده للتغزل بالمرأة مغرقا في وصف جسدها, حيث كان الطابع الحسي

هو الغالب في غزلياته "ولعلّ الغزل, والغزل المكشوف على وجه الخصوص من أشد الفنون التصاقا بشخصية بشار المتحررة, بل لعله كان من أكبرها أثرا في حوادث حياته"[1], فها هو يصور لنا الغزل الماجن، ويذكر مغامراته وما يدور بينه وبين صاحباته من خلاعة فيقول: [2]

حسبي وحســـــــب التي كلّفت بها منـــي ومنها الحـــــــــديث والنظـــر
أو قبـــــــلةٌ في خـــــلال ذاك ولا بـــــــــــأس إذا لم تُحـــــــلـــل الأُزُرُ
والســـاق بـــــــراقة خلاخـــــلهـا والصوت عالٍ فـــقد عـــلا البُـــــــهُرُ

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل العفيف في الظاهر عندما تحدث عن الوصل بالحديث والنظر, وسرعان ما أنتقل إلى الوصف الحسي لصاحبته, وبدأ بذكر القبلات, ومعالم من جسدها, فمزج بين الغزل العفيف والحسي الصريح, مستمتعا بما ذكره, وهناك أمثلة كثيرة على ذلك الغزل الماجن الذي يلجأ له الشاعر للتنفيس والانتقام مما عاناه في مجتمعه من ازدراء وسخرية, فجاء انتقامه من المرأة فكانت هي الضحية التي يفخر من خلالها بقوته وجبروته, ويرد على كل من احتقره وقلل من شأنه, كذلك نجد أن الغزل الماجن قد ارتبط ارتباطا شديدا بحياة المجون واللهو التي يعيشها الشاعر في مجالس الأنس مع الجواري, والخمر والطرب, لقد "كان شديد الولع بالنساء مسرفا في التشبيب مقتنا فيه فنونا لم يُسبق إليها...كان شعره كله إغراء بالفجور وحثا على الفسوق"[1], لقد كان بشار متهالكا على المرأة محبا لها بشغف.

ومن يتصفح ديوان بشار يجده لم يقتصر في نظمه للغزل على المجون والحسية, فهناك غزل عذري طاهر يخاطب فيه الحرة و يكرر معاني الشعراء العذريين التي تصف الغرام بجمال المحبوبة وعفتها وطهارتها, وتصف أيضا ألم الفراق , ومن ذلك قوله: [2]

هيَ الروح من نفسي وللعـــين قرّة فـــداء لها نفسي وعيـــني وحاجبي

وقوله أيضا متغزلا بعبدة التي شغفته حبا: [٣]

يُزهّدني في حبّ عبـــــدة معشرٌ فقلتُ دعوا قلبي وما اختار وارتضي

قلوبُهم فيـــــــها مخالفة قلـــبي فبالقلبِ لا بالعينِ يبـــصر ذو اللبِّ

لقد لجأ الشاعر إلى اظهار العفة في اختيار ألفاظه ومعانيه؛ ليثير عواطفها, ويجعلها تلتفت إليه من خلال تلك الأبيات التي يشتكي فيها معاناته مع من يحاول أن يبعده عنها, وسار في ذلك على نهج الشعراء العذريين في وصف حبه لعبدة التي كان مشغوفا بها, كما استطاع فعلا من خلال هذه التجربة الشعرية العاطفية أن يفرغ أحاسيسه ومشاعره الصادقة والمخلصة التي ينكرها الكثير من النقاد نتيجة لمجونه, فمنهم من يقول أنه "ليس بالشاعر المخلص ولا الصادق حين يمدح ولا حين يتغزل[١], وهذا يؤكد على ما يتمتع به الشاعر من صفاء ونقاء خفي, كان قهر المجتمع وظلمه سببا في اخفائه, لقد كان الشاعر في غزله يستوحي الكثير من الصور التي شاعت في الشعر العربي, فنجده يصف وجهها بالشمس وضوحا, وبالبدر استدارة, ويصف قوامها الممشوق "فالطابع القديم يظهر في شعره لا من ناحية اللفظ والأسلوب فحسب، بل في تتبعه لصور القدماء، ونهجهم في مدائحهم وفخرهم وغزلهم " [٢].

ثانيًا: الطبيعة وما يحيط بها, وموقف بشار منها:

امتاز شعر بشار بدقة الوصف والتصوير, والنظرة العميقة، والعقلية الجادة، والقريحة الفنية، والعاطفة الصادقة ، والإحساس المرهف، والخيال الواسع لكل ما يحيط به من مظاهر الطبيعة الخلابة دون النظر إليها, وقد تفوق في ذلك على من أنعم الله عليهم بنعمة البصر, فبالرغم من حرمانه من البصر كان هو الأفضل في تصويره لما يجول في خيالاته من مظاهر الطبيعة[٣].

ومن الأمثلة على تضمين شعره لمظاهر الطبيعة قوله في وصف البساتين: [1]

في جِنَانٍ خُضْرٍ وَقَصـــــرٍ مَشـــيدٍ قَيْصَرِيٍّ حَفّـــــــتْ بِهِ الأَعْـــنَابُ

فَوْقَـــهَا مَلْعَـــــبُ الحَمامِ وَيَستَـــ نٌ خَليـــــجٌ مِنْ دُونِهَـــا صَخّـــــابُ

لقد كانت الطبيعة الملهم الأول للكثير من الشعراء وعلى رأسهم بشار بن برد, فقد كان يستوحي بخياله الكثير من مفرداتها, ليصور واقعه المؤلم الذي يشعر به بالغربة والقلق, ومن ذلك وصفه لليل الذي تتجدد فيه الهموم والأحزان فيقول: [2]

نبَا بِكَ خَلْفَ الظَّـــــاعِنِينَ وســـادُ وَمَـــا لَكَ إلاّ رّاحَـــــــتيْكَ عِـــــــمادُ

لخَدّكَ مِنْ كفَّـــــيْكَ في كلِّ ليـــــلَةٍ إلى أن تَرَى وَجْـــــهَ الصّباحِ وِســـــادُ

تَبِيتُ تُراعِي اللَّـــــيلَ تَرْجُو نَـــفادَهُ ولَيـــــــسَ لِلَيْلِ العاشِقِـــــــينَ نَفاد

تَقَلّـــــــــبُ في داجٍ كأنَّ ســـوادَهُ إذا انجابَ موصـــــــولٌ إليه ســـوادُ

ومن الشواهد التي يردد فيها نفس المعنى قوله:[3]

خَلِيلـــيّ ما بالُ الدُّجـــى لا تزحزح وما بالُ ضَوْءِ الصُّـــبحِ لا يَتَوَضَّـــحُ

أضل الصباح المسْـــتَنِير صباحه أم الدَّهْرُ لَيـــلٌ كُلُّـــهُ لَيْسَ يَبْـــرَحُ

وقد تتجدد نظرته لليل في موقف آخر مغاير , فينسجم معه, ويصف ما يحل فيه من المتعة واللهو و السمر "فالليل في التجربة الشعرية يتلون بانفعالات الشاعر ورؤيته، فيصبح في إطاره النفسي متعدد الألوان والسمات، وذا أوجه متغايرة ومتقلبة، ينسجم وتارات النفس"[1]iv٧

فها هو يصف جمال الليل السرمدي, ولحظات الأنس والنشوة فيقول:[2]

حتّـــى إذا الذِّرْيـــاقُ فِيـــــنا دَبَّا وَجَـــنَّ ليْلٌ وقضـــــيْنا نحْبَـــا رُحْنا

مَع اللَّيْـــلِ مُلـــوُكًا غُلـــبْا مِـــنْ ذا ومِـــن ذاكَ أصبْـــــنا

ومن الشواهد التي يركز فيها الشاعر على الألوان, وكأنه يخفي عاهته قوله:[٣]

هَيَـــأْتُ فيها حـــينَ خَيَّستُـــها مِـــن حالِكِ اللَـــونِ وَمِـــــن أَصهَبِ
راعي الذِراعَـــــينِ لِتَحـــريزِهـــا مِـــن مَشرَبٍ غـــارَ إِلى مَـــشرَبِ
دُعـــموصُ نَهرٍ أَنشَبَت وَســطَــهُ إِن تَنعَـــبِ الريـــحُ لَـــهـــا تَنعـــبِ

نلاحظ مما سبق ارتباط الليل الذي يمثل الطبيعة في شعر بشار بمعاني مختلفة, أحيانا كثيرة يأتي الليل وسواده مرتبطا بأجواء الحزن والكآبة والقلق، وفي سياقات أخرى، يأتي بمعنى الحُسن والجمال والمتعة, وهذا التضاد في تصوير مظاهر الطبيعة

يأتي منسجما ومتكاملا ومتناغما مع نفسية الشاعر.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة مع الاتجاه الوجداني في شعر بشار بن برد, توصلنا إلى جملة من النتائج, يمكن تلخيصها في الآتي:

- يظهر لي في نهاية البحث أن بشارا كان مبدعًا في تشكيل الصور الحسية البصرية, التي تخدم مضمون شعره, وتسهم في تنوع أفكاره, وأن عاهته لم تقف عائقا دون ذلك.
- لقد كان لتكوينه الجسماني وعاهته وانتقاص المحيطين له أثر واضح في عاطفته الشعرية, التي فتحت له أفاق أوسع في التعبير عن شعره, وجعلته يحتل مكانة عالية بين معاصريه, كما أن بروز الملامح الشخصية للشّاعر من خلال تعبيره الفنّيّ عن عواطفه وانفعالاته يظهر لنا الاستقلال الذّاتيّ عن

الآخرين؛ لأنه يعبر عن ذاتيته وقضاياه الخاصة فيبدع ويبتكر دون تقليد للآخر.

- جدد الشاعر بشار بن برد في مضمونه الشعري بما يتناسب مع اتجاهه الوجداني الجديد الذي يغذي عاطفته, حيث جعل الذات هي الركيزة الأساسية في هذا المضمون الذي يمجد فيه الحزن والألم, ويجعله محورا للثورة على الواقع ومجرياته.
- لجأ الشاعر إلى الإبداع والتجديد, والنزوح عن التقاليد الأسلوبية في اختيار اللغة الشعرية, والصور, والرموز, والمعجم التقليدي, فظهرت الذاتية بشكل واضح في تعبيره عن مكنونات نفسه المتصدعة, فقد يستخدم صورتين متضادتين في تصوير مظاهر الطبيعة, ويأتي ذلك منسجما ومتكاملا ومتناغما مع نفسية الشاعر.
- الوجدانية في شعر بشار كانت هي الأقرب والأنسب لثقافته وطريقته في التعبير الصادق عن محتوى فكره بما يتفق مع أحاسيسه المرهفة.
- لقد كانت بالشاعر نزعة طبيعية نحو البذاءة والهجاء، ولا شك أيضا أن الذي نماها فيه إلى ذلك الحد المفرط، ما لقيه من البيئة التي عاش فيها.

التوصيات:-

توصي الباحثة بدراسة الاتجاه الوجداني في ديوان بشار بن برد كاملا ؛ لإبراز جماليات الشعر الوجداني فيما يخص البنية الإيقاعية الخارجية من ناحية الأوزان الشعرية, والقافية, والبنية الإيقاعية الداخلية فيما يخص الظواهر الأسلوبية, والأساليب الإنشائية والخبرية.

وفي الختام, نسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم, وأن ينفع به, والحمد لله رب العالمين.

- **قائمة المصادر والمراجع :**

أولاً: المصادر:

- ديوان بشار بن برد. جمع وتحقيق وشرح: فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، صادر عن وزارة الثقافة الجزائرية, ٢٠٠٧م.

ثانيًا: المراجع:

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر. القط, د. عبد القادر. ط١, القاهرة: مكتبة الشباب, ١٩٨٨م.
- الأداء في اللون في شعر زهير بن أبي سلمى. الجادر, محمود. بحث، بغداد, مجلة كلية التربية، ,ع٤.
- أسرار البلاغة. الجرجاني, عبد القاهر. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١, القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩١م.
- أعلام الإسلام بشار بن برد. المازني, إبراهيم عبد القادر, د:ط, القاهرة: مطبوعات دار الشعب، 1971م.
- الأغاني. الأصفهاني, أبو الفرج. تحقيق: د. إحسان عباس، وآخرون. ط٣, بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨م.
- بشار بن برد حياته وشعره. عطوي, د. علي نجيب.ط١, بيروت: دار الكتب العلمية,, ١٩٩٠م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي. البصير, كامل حسين. د:ط, مطبعة المجمع العلمي العراقي, ١٨٨٧م.
- التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية. السيد, شفيع.ط٣, القاهرة: دار الفكر العربي,١٩٨٩م.
- الروائي والأرض. بدر, عبد المحسن طه. ط٣, دار المعارف, ١٩٨٣.

- الشعرية العربية بين العمود والحداثة. المعاضيدي, علاء الدين. أطروحة دكتورا, بغداد: كلية التربية, جامعة بغداد, ابن رشد, ١٩٩٦.
- الصورة الفنية عند أبي تمام. رباعي, عبد القادر أحمد. ط٢, أربد: مكتبة الكيتاني, ١٩٩٥.
- الصورة في شعر بشار بن يرد. نافع . ط١,عمان: دار الفكر, ١٩٨٣م.
- عن التاريخ الأدبي في العصر العباسي. أمين, جودة. د:ط, القاهرة: دار الثقافة العربية, ١٩٩٠.
- الغزل في شعر بشار بن برد، دراسة أسلوبية ديوان بشار بن برد. محمود, د. عبد الباسط. د:ط, دار طيبة للنشر والتوزيع, د:ت.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ضيف, د. شوقي. ط٥,مصر: دار المعارف, ١٩٦٥.
- كتاب الفروق باللغة. العسكري, أبي هلال. تعليق وضبط: د. أحمد سليم الحمصي. ط١, طرابلس– لبنان:١٩٩٤م.
- الكليات. الكفوي, أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني . تحقيق: د. عدنان درويش. ط٢, مؤسسة الرسالة,١٩٩٣ م.
- الليل في الشعر الجاهلي. إبراهيم, نوال. رسالة ماجستير مخطوطة، إربد– الأردن, قسم اللغة العربية, كلية الآداب، جامعة اليرموك ١٩٩٧م.
- مراجعات في الآداب والفنون، الإعمال الشعرية الكاملة. م 25 ، الأدب والنقد[2] . العقاد, عباس محمود. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1983 م.
- المعجم المفصل في الأدب. التونجي, د. محمد. د:ط, بيروت–لبنان: دار الكتب العلميّة, د:ت.
- معجم مقاييس اللغة. الرازي, أبي الحسين أحمد بن فارس بن فارس بن زكريا. ط١, بيروت– لبنان: منشورات دار الكتب العلمية, ١٩٩٩م.
- مقدمة ديوان بشار بن برد. ابن عاشور, الطاهر. د:ط, الجزائر: وزارة الثقافة, ٢٠٠٧ م.
- موقف الشعر من الحياة والفن. العشماوي, محمد زكي. د:ط, بيروت– لبنان: دار النهضة ,١٩٨١م.

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر, عبد العزيز القط, ط القاهرة , مكتبة الشباب, ١٩٨٨م, ص١٤.

[1] معجم مقاييس اللغة, أبي الحسن أحمد الرازي, المادة اللغوية (وجد), ط١, بيروت, منشورات دار الكتب العلمية, ١٩٩٩م, (٦٢١/٢).

[2] كتاب الفروق باللغة, أبي هلال العسكري, تعليق وضبط د. أحمد سليم الحمصي, ط١, طرابلس, ١٩٩٤م (وجد).

[3] الكليات, أبي البقاء أيوب الكفوي, تحقيق: د. عدنان درويش, ط٢, مؤسسة الرسالة, ١٩٩٣م, ص ٩٤٣.

[4] المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية , القاهرة, (وجد).

([1] المعجم المفصل في الأدب , د. محمد التونجي,, بيروت, دار الكتب العلمية, (٨٨/٢).

[2] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ,عبد العزيز القط, ص٦.

[1] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر, عبد العزيز القط,, ص١٢.

[2] مقدمة ديوان بشار بن ببرد, الطاهر ابن عاشور, الجزائر, وزارة الثقافة, ٢٠٠٧م, (١/ ٥٢).

[1] بناء الصورة الفنية في البيان العربي, كامل حسن البصير, مطبعة المجمع العلمي العراقي, ١٨٨٧م, ص٨.

[1] الصورة الفنية عند أبي تمام, عبد القادر أحمد رباعي, ط٢, أربد, مكتبة الكيتاني, ١٩٩٥م, ص٦٥.

[2] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ,عبد العزيز القط, ص ٣٤٨.

[1] الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية, عبد الباسط محمود, دار طيبة للنشر والتوزيع, ص ٣٦٣.

[2] ديوان بشار بن برد. جمع وتحقيق وشرح: فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، صادر عن وزارة الثقافة الجزائرية, ٢٠٠٧م.(٢٢٤/١).

[1] بشار بن برد حياته وشعره. د. علي نجيب عطوي, ط١, بيروت: دار الكتب العلمية,, ١٩٩٠م.ص ١٠٤.

[1] ديوان بشار بن برد, (٢٠١/١).

[1] الأداء في اللون في شعر زهير بن ابي سلمى, محمود الجارد, بغداد, مجلة كلية التربية, (ع٢, ٨٧).

[2] ديوان بشار بن برد, (٦/٢).

[3] ديوان بشار بن برد, (٢٢٣/١).

[4] ديوان بشار بن برد, (٢٢٣/١).

[1] أعلام الإسلام, إبراهيم عبد القادر المازني, القاهرة, مطبوعات دار الشعب, ١٩٧١م.ص٧٩.
[2] ديوان بشار بن برد, (٥٥٦/٢).
[3] ديوان بشار بن برد, (٣٩٠/٢).
[4] ديوان بشار بن برد, (٣٣٥/١).
[1] أسرار البلاغة, الجرجاني,قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر, ط١, القاهرة, مكتبة الخانجي, ١٩٩١م, ص ١٧٥
[2] أسرار البلاغة, الجرجاني, ص١٥.
[3] ديوان بشار بن برد, (١٤٢/٢).
[1] مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق, ص٢٣٣.
[2] موقف الشعر من الحياة والفن, محمد زكي العشماوي, بيروت, دار النهضة, ١٩٨١م, ص١٠٥
[1] مقدمة ديوان بشار بن برد, الطاهر ابن عاشور, (١٢/١-١٣).
[2] الشعرية العربية بين العمود والحداثة, علاء الدين المعاضيدي,, أطروحة دكتورا, بغداد, كلية التربية, ١٩٩٦م, ص٢٤.
[3] ديوان بشار بن برد, (٢٣/٢).
[4] الأغاني, أبي فرج الأصفهاني, تحقيق: د. إحسان عباس, ط٣, بيروت, دار صادر, ٢٠٠٨م, (٢٤٢/٢).

[1] المرزباني, ص٣١١.
[2] ديوان أبو العتاهية, ص١٨.
[3] ديوان بشار بن برد, (٢٣٢/٢).
[1] الأغاني, أبي فرج الأصفهاني, (٢٨/٤).
[2] ديوان بشار بن برد, (٤٣٨/٢).
[3] الأغاني, أبي فرج الأصفهاني, (١٩٩/٣).
[1] ديوان بشار بن برد, (١٤٢/٢).

[1] الفن ومذاهبة في الشعر العربي, د. شوقي ضيف, ط٢, مصر, دار المعارف, ١٩٦٥م, ص١٥٢.
[1] الإسكندري, عناني, ص٢٥٥.
[2] الفن ومذاهبة في الشعر العربي, د. شوقي ضيف, ص١٥٢.
[1] موقف الشعر من الحياة والفن, محمد زكي العشماوي,ص١٢٩.
[1] الروائي والأرض, عبد المحسن طه بدر, ط٣, دار المعارف, ١٩٨٣م, ص٣١.
[2] الأغاني, أبي فرج الأصفهاني, (٢٢/٣).
[1] التعبير البياني, رؤية بلاغية نقدية, شفيع السيد, ط٣, القاهرة, دار الفكر العربي, ١٩٨٩م,ص٢٨.

[٢] مراجعات في الآداب والفنون, عباس محمود العقاد, ص٥٢٦

[١] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر, عبد العزيز القط, ص١١.

[١] عن التاريخ الأدبي في العصر العباسي, جودة أمين, القاهرة, دار الثقافة العربيةو ١٩٩٠م, ص١١٧.

[٢] ديوان بشار بن برد, (٢٥٧/٢).

[١] بناء الصورة الفنية في البيان العربي, كامل حسين البصير, مطبعة المجمع العلمي العراقي, ١٨٨٧م, ص٢٠٤.

[٢] ديوان بشار بن برد, (١٥٥/١).

[٣] ديوان بشار بن برد, (٣٥٣/١).

[١] الروائي والأرض, عبد المحسن طه بدر, ص٢٠١.

[٢] لصورة في شعر بشار بن برد, نافع, ط١, عمان, دار الفكر, ١٩٨٣م, ص ١٥٣.

[٣] بشار بن برد حياته وشعره, هاشم مناع, ص٩٨.

[١] ديوان بشار بن برد, (٣٥٠/١).

[٢] ديوان بشار بن برد, (١٩٨/٢).

[٣] ديوان بشار بن برد, (٤٦٢/١).

[١] الليل في الشعر الجاهلي, نوال إبراهيم, رسالة ماجستير, إربد, كلية الآداب, جامعة اليرموك, ١٩٩٧م, ص ٦٢.

[٢] ديوان بشار بن برد, (٨٥/١).

[٣] بشار بن برد حياته وشعره, هاشم مناع, ص٣٨.

Abstract

This study aims to highlight the emotional trend in Bashar bin Burd's poetry, and to identify the **success** he achieved in using this emotional poetic lexicon, to clarify the ambiguity of what surrounds his poetry, and to break into his poetic spaces that serve the sentimental tendency, and the study included two chapters, the first chapter deals with the nature of the image Poetics and the impact of imagination in it and their connection to the poet's experience and how the poetic image is the soul of poetry, and the poet has formulated through it focused aesthetic images that form in different ways in which he excelled and excelled. His sentimental poems. As for the second chapter It deals with the poetic experience, and the reasons for the emotional trend in Bashar bin Burd's poetry, which was represented in his culture, his handicap. In himself without embarrassment or fear

. .

Keywords: sentimental direction, Bashar bin Burd, poetry, style, subjectivity.